الْوَحْدَةُ الْقَاتِلَةَ

قصة

فتاة مع الماسنجر

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

(قٓ: ٣٧)

بقلم

راجي رحمة ربه وغفرانه

همام محمد الجرف

كانت الوحدة قاسية وقد أطبقت على صدرها ، والقلب الذي كساه الفراغ المظلم لقد غاب عنه ذكر الله وقد تسلل في هذه الأجواء شبح الوسوسة إلى أرجاء النفس الضعيفة .

الوساوس تأتي وتذهب والنفس مهيأة لها ، تقول في نفسها حائرةً ماذا سأفعل فالوحدة قتلتني ؟ ثم تجاوب نفسها على هذا السؤال المعضل ، لا أدري .

فالكلُّ في شُغْلٍ يشغله ، والبيت الكبير أصبح كقصرٍ موحشٍ في غابةٍ مظلمة ولا يملأه إلاَّ الأشباح .

حياةٌ نمطيةٌ ليس فيها أي جديد ، الخدم في أرجاء المكان ومن جنسيات مختلفة لقد مللت سِيَرَهُم وحتى ما عدت أطيق الرد على أسئلتهم المتكررة هل تريدين شيئاً سيدتي ، وهل ؟ وهل ؟؟

فأنا المدلَّلة لدى العائلة والكل يريد تحقيق رغباتي ولكن؟.........!!!

لديَّ مشاكل أريد حلَّها ولكن السيدة الوالدة مشغولة بالتسوق والموضة ومنشغلة عني بزياراتها في أرجاء طبقات المجتمع المخملي المزيَّف .

لست أدري هل لي أن أكلمها في ما يجول في خاطري ؟ حتى أنَّي لا أستطيع التعبير عمَّا بي .

أنا في حيرة من أمري ، أريد حلَّاً .

ووالدي العزيز قد شغلته الأموال عنِّي ، وعن البيت عموماً فقلَّما أراه أو حتى أسمع صوته عبر الجوال ، فسوق البورصة على حدِّ قوله لا يرحم وأسعار العقارات في صعود وهبوط ، ولا يمكن أن يُأْتَمِن أحداً على عمله ، هذه الجمل دائماً أسمعها منه .

وكلَّما أردت أن أشكي له همَّا ظن أني بحاجةٍ إلى المال فيقول وهو على عجل يا بنيتي كم مرة قلت لك المصروف مع والدتك ، ويغادر المترل ولا يعود إليه حتى منتصف اليل وأنا أكون عندها نائمة .

وأخوتي الشباب الكل لاه في حياته مابين السيارات الحديثة والرحلات والترهات ومابين العمل مع والدي و الصغار في لهوٍ على الإنترنت أو ألعاب الفيديو .

ألهي نفسي أحياناً بمشاهدة التلفاز ، ولكن قد مللت من سيرة الفنانة فلانة والفنان فلان ، أحيانا أقلب صفحات المجلات الفنية التي أصبحت تغزوا المكتبات والأكشاك ولكن ليس فيها إلا الفضائح الفنية.

تقول لي أمي تجهزي اليوم فاليوم ستأتي أم فلان وتبدأ عد صديقاهما اللائي لا يرقن لي ولا تروقني تصرفاهن المصطنعة .

ارتدي الثوب الذي جلبته لك من أوربا في زيارة الصيف ، فأظن أن أم فلان مهتمة بك ، ولعلَّها تريد خطبتك لابنها .

مَنْ فلان ؟؟؟؟ هذا التافه الذي لم يحصل حتى على الشهادة الثانوية ، وقصَّة شعره كالقنافذ ، ويرتدي طوقاً في رقبته وسواراً في معصمه كالفتيات ، لقد رأيته أمس حينما أوصل والدته ، وهو يشبه كل شيء إلا الرجال .

تقول أمي بعصبيتها المعتادة البنت أولاً و أخيراً إلى بيت زوجها ، ولست صغيرة ، وآن أن نجد لك زوجاً..

أقول في نفسي نعم و لم لا ؟ ولكن ليس هذا الشاب التافه ، لقد وضعت أمي يدها على الجرح دون أن تدري .

أم أنها أحسَّت بفراغي القاتل وتريد أن تملأه بالطريقة التقليدية ؟ أم هل وزعت صوري لدى الخاطبات ؟ أم أصبحت تعرضني أم صديقاتها لكي تخطبني إحداهن لابنها ؟

لست أدري أظن أن هذه الطريقة في الزواج لا تروقني ، ولقد أعجبني ما يجري على شاشات التلفاز من طلبات الزواج وقد أرسلت طلباً لأكثر من محطة .

لقد نسجت هذه المسكينة في خيالها الكثير من الصور الوردية حول الزوج الذي ترغب بأن ترتبط به ، الفارس الشهم الذي يضحي لكي يحصل على محبوبته .

وفي هذه السهرة المتكلف بها ، كان جميع النسوة يحدقن بي ، ويقلـــن ما شاء الله لقد أصبحت ابنتك عروس .

وبالأخص أم فلان التي كلمتني أمي عن رغبتها في خطبتي لابنها ، ولكن ظنِّي بها لا تريدني لشخصي ، ولكن تريد أموال أبي الطائلة .

اعتذرت لهم وانسحبت من الجلسة والبسمة المصطنعة على وجهـــي ، وأنا ممتعضة من هذا الجو الخانق ، فليس لهنَّ كلام إلا عن أحدث أزياء الموضة ، وعن كتب الطبخ للشيف فلان ، وعن كتب الأبراج ، وعن محطات (السحر والشعوذة) الفضائية ، وعن، وعن ، والكثير من الكلام المشترك الذي لا يفهم منه شيء ، فما هذه الثقافة التي تتمتع بها هؤلاء النسوة ؟

ذهبت إلى غرفتي ، جلست فيها والظلام يعمُّ في نفسي ، كما عمَّ أرجاء الغرفة أيضاً ، وإذ برسالة قصيرة من رقم مجهول على الجوال.

ليس فيها سوى تحية وعنوان بريد إلكتروني وفي نهايتها أنا الآن علـــى الماسنجر .

لست أدري لقد انتابتني الفرحة ، أظن أنَّ من بعث هذه الرسالة هـــو فارس أحلامي ، أخيراً !!!!!

مباشرةً قمت وشغلت حاسوبي ، وأدخلت هذا العنوان ، وفعلاً كـــان هذا المجهول على الخط .

ألقيت التحية ، وقال لي لقد حصلت على رقم جوالك من المحطة الفضائية ، وأحببت أن أتعرف عليك فقصدي شريف ونيتي طيبة ، وأنا أول مرَّة أخاطب شابَّة عن طريق الإنترنت - هذه الكذبة المشهورة التي يدعيها شباب الماسنجر عندما يتعرفون على شابة جديدة وأن غرضهم شريف ، وأن النية طيبة ، وأنهم يريدون الحلال ، إنه عالم افتراضي يعجُّ بالأكاذيب –

على ما يبدو أن هذه المسكينة انخدعت بهذا الوهم الذي صنعته لنفسها بدأت تتعرف على الشاب ، وتعرِّفه على نفسها ، هي تكتب بصدق ، وهو ما عاد من كثرة أكاذيبه أن يجد أكاذيب جديدة ، فكل ما يكتبه كذبٌ بكذب .

اعتذر هذا الشاب بعد ساعات من الدردشة والتعارف بحجج واهية وأنه سيعود غداً في نفس الوقت ، ألقى التحية بعبارات منمقة ومليئة بالحب – فالفريسة بدأت تلتقط الطعم – ردت التحية على خجل وأطفأت الحاسوب .

لقد بدأت بعد هذا الاندفاع الشديد تفكِّر ، ماذا فعلت ؟ ومن هذا الذي جعلته يقتحم وحدتي دون أي تفكير ؟

وبدأ شيطانها يبرر ما فعلت ، وكلما سألت سؤالاً لنفسها أسرع بالإجابة والتبرير .

الشاب كما قال لك يريد الحلال وعلى ما يبدو من كلامه أنه صادق ، فهو لم يخرج أبداً عن حدود الأدب.

وبدأ يوسوس في نفسها ، وهي طائعة منقـــادة دون أدنى تفكـــير ، ألم تسمع بمصائب الدردشة وما جرَّت من مهالك لعفة كثير من الفتيات ، والمشاكل الأسرية التي تحدث بسبب الاختلاط الماجن في هـــذا العـــالم الافتراضي ، فيالها من مسكينة .

مابين تفكير وتفكير وإقناع من الوسواس لما فعلت نامت على وقع هذه الكلمات الأخيرة التي كتبها ذلك الشاب الضَّال الذي اقتحم أعـــراض الناس ليشبع رغبةً تافهةً في نفسه .

أصبحت تتكرر رسائل الجوال المفعمة بالمحبة المزيفة التي اكتست ثـــوب الحرام ، وتكررت اللقاءات على الماسنجر ، فبعدما ألفت هذه المعصية تحول اللقاء من مجرد عبارات تكتب إلى حديث عاطفي مسموع ، فقد كانت لكلماته المزيفة وقعها الخاص على مسمعها - فالوسواس يـــزين المعصية - ما هذا الصوت الدافئ الذي يقع على مسمعي ؟ وما هـــذه العبارات التي يخفق لها فؤادي ؟

لقد وقعت هذه المسكينة فريسةً سهلةً في يد هذا السفاح ، ولقد أعانتها الوحدة القاتلة على أن تسلِّم نفسها بسهولة لهذا الوحش .

لقد أقفلت باب الغرفة وانزوت عن الجميع ، وتقول في نفسها وهل أحد يهتم بي ، ولكن فارسي سيأتي قريباً ، لقد كرَّس قلبه لحبي ، وماذا أريد ؟ سوى شابٍّ ناجح في حياته طموح وملتزم والأهم من ذلك يحبني – لو كان ملتزما لما واعدك بالحرام وبهذا الأسلوب الشيطاني ، فلا حول و لا قوة إلا بالله –

أصبحت قلّما تخرج من غرفتها و ما درت أنها ستغرق في أوحال المعصية ، وتظن أنها في حلمٍ ورديٍّ جميل ، ولكن هذا الحلم في الواقع يتحول إلى كابوس مرير .

افتقدتها أمها عدة مرات ، حتى جلست معها وقالت لها إن أم فلان كانت تلمح لخطبتك ، والآن كلمتني بشكل فعلي ، وأنا لم أعطها جواباً لكي لا تظن أننا نزوج بناتنا بهذه السهولة ، فعليها أن تدفع مهراً مميزاً لكي نوافق .

تجيب الفتاة أأنا سلعة تباع يا أمي ؟ وكم مرَّةً قلت لك إني لا أحبها ولا أطيق النظر في وجه ابنها ذلك التافه .

تبتسم الأم وتخفي وراء هذه الابتسامة عصبيتها المعتادة ، وتقول يا ابنتي هذا شعور كل فتاة عند خطبتها فقد تتزرع بعدم الراحة لخاطبها ، وهي تريد أن تبقى الأميرة المدلّلة في بيت أهلها ، ولكن يا عزيزتي اطمئني ستصبحين ملكةً في بيت زوجك .

تخرج الفتاة مسرعة وهي تصرخ ، قلت لك لا أريده .

دخلت هذه المسكينة غرفتها وأرسلت رسالة بالجوال لذلك الـــوحش ، تطلب منه الدخول إلى الماسنجر لأمرٍ هام .

تجاوب معها ودخل الماسنجر ، وكلمته في قصة أمها مع صديقتها وأنها تريد خطبتها لأحد أبنائها .

بدأ ذلك الوحش يتململ من هذه القصة ، وأصبح يهدأ من روعهـــا ، وأن عليها أن ترفض لأجل حبهما العذري .

لقد طلبت الفتاة بصرامة من ذلك الشاب أن يتقدم لخطبتها من والدها وفوراً ، بدأ يتعذر بأعذار أنه في أول العمر ، والطريق طويـــل ، وأنـــه يكون مستقبله ، وأنه مسؤول عن إعانة أمه وتربية أخوته ، وأنه ....

وبدأ بالكذب والكذب ، ثم فكَّر بينه وبين نفسه لما لا يـــستغل هـــذه الفرصة – لكي يشبع رغبته القذرة – ؟ قال لها أنا موافق ولكن لمـــا لا تسافرين أنت وتأتين إلى مدينتي وتشاهدين عائلتي على حقيقتها وترين كيف أعيش فترغب أمي المريضة برؤيتك ، لقد وافقت بسذاجة مطلقة فأخذت عنوانه وحدَّدت موعداً للسفر – لم تدرِ ما يحيك لهـــا هـــذا الوحش المفترس –

قالت في نفسها هذا المهرب الوحيد من أن أوافق أمي على ما خططت له ، وبدأت تفكر كيف لها أن تقنع والدتها بالسفر إلى تلك المدينة التي لم تسافر لها في حياتها .

لقد اخترعت قصة أن هناك عروضات خاصة للأزياء وبأسعار مخفَّضة ، فلعلَّ هذه الكذبة تنطلي على والدتها وخصوصاً أنها منشغلة كثيراً بمثل هذه الأمور .

بين أخذ ورد في الكلام وافقت الوالدة في أن تذهب الفتاة ولكن برفقة أحد صديقاتها ، فقالت في نفسها ليس من الصعوبة أن توهم والدتها بأنها ستذهب بصحبة أحد صديقاتها ، قبَّلت رأس والدتها ممتنَّةً لها وسعيدة بموافقتها – المسكينة تريد أن تذهب إلى حتفها بقدميها –

اشترط عليها ذلك الوحش ألا تكلمه ولا يكلمها حتى تأتي لزيارة أهله فهو سينشغل من أجل ترتيبات هذه الزيارة .

بدأت تفكِّر كيف ستكون هذه الزيارة وكيف ستستقبلها والدة فارسها المزعوم ، وكيف ؟ وكيف ؟ وكيف سيكون ذلك الشاب الوسيم الذي سيخلصها من وحدتها القاتلة وكيف سيكون الزوج المخلص المحب المتفاني في حب زوجته وإسعادها .

بدأت تعد الأيام والساعات والدقائق التي تفصلها عن اللقاء ، وهي تفكر ، وتفكر بفرحة عارمة .

ثلاثة أيام حتى يحين موعد السفر ، ماذا ستفعل في هذا الوقت الطويـــل فهي لا تريد الخروج من المترل لعل الفارس – ذلـــك الخـــسيس– أراد مكالمتها ، بدأت تشعر بالملل الذي كانت تشعر بها قبل أن تتعرف على ذلك الشاب ، أصبحت تقلِّب صفحات المجلات الفنية الـــتي كانـــت تقرأها سابقاً ، فلا تجد سوى الأخبار المملَّة ، أمسكت بجهاز الـــتحكم وأرادت أن تشاهد التلفاز ، وإذا بأحد الـــدعاة إلى الله يتكلمـــون في إحدى القنوات الفضائية عن مشاكل الشباب والبنات على الإنترنـــت والدردشة و الماسنجر ، بدأ الموضوع يغيظها لأنه أصـــبح يتطـــرق إلى الكوارث التي تحل بالفتيات من هؤلاء الشباب المفترسين ، فأصـــبحت تفكر فيما ما يقول هذا الشيخ الداعية عن التجارب العديدة التي مرت بها بعض الفتيات وأخبرنه بها وأصبح يقصها لكي يكون منـــها العـــبرة والعظة .

أغلقت التلفاز ، وهي لا تريد أن تسمع باقي القصص وهـــي تقـــول فارسي ليس كهؤلاء الشباب فهو ملتزم متفاني ومجتهد في عملـــه ، ثم بدأت تفكر بين نفسها اللوامة ووسواس الشيطان ، فتقـــول لعـــلَّ الله سبحانه وتعالى أراد أن أسمع هذا الشيخ الداعية لكي لا أقع فيما وقعت به من قبلي من الفتيات ، ثم ترد وساوس الشيطان دعِ عنك هذا الكلام فهذا لا ينطبق على كل الناس فهناك الصالح والفاسد ، فتقول في نفسها

وما أدراني هل ذاك الشاب الذي أجهل من يكون من الصالحين أم من الفاسدين ؟ دمعت عيناها من الخشية والحزن ، هل هذا الذي كنت أعيش فيه وهم أم أنه السعادة التي أردت أن تخلصني من وحدتي القاتلة ، أمسكت بجهاز التحكم و شغلت التلفاز ، وإذ بمكالمة فتاة تحدث الشيخ عن قصتها وهي تبكي ، وتقول جزاك الله خيراً يا شيخ فلولا أن هداني الله قبل أن أضل لكنت الآن أتخبط في أوحال المعصية ، فقال لها وكيف نجوت من براثن الوحش الذي وقعت بين مخالبه لكي يتعظ المشاهدون مما حدث معك إن أمكن ؟

قالت له والغصَّة في صوتها ، لقد سمعت محاضرة لأحد المشايخ الكرام يجاوب فتاةً وقد بنت علاقة على الإنترنت مع شاب وأوهمت نفسها بوعده لها بالزواج وقد طلب منها السفر إلى دولته لكي يعرفها على أهله و يحددوا موعداً للزواج ، وأنا هنا أفكر في نفسي هل هذه مصادفة أن أسمع نفس ما جرى معي ، فيقول الداعية لا يا ابنتي ولكن هؤلاء الوحوش الغبية تستخدم أحياناً نفس الطعم لفريستها المسكينة ، وأراد الله عزّ وجل أن ينقذك مما أنت فيه فأكملي قصتك هداك الله ، ثم قالت يا شيخ قال لها إن كلمك فقولي له إني قادمة اليوم الفلاني ولكن معي أحد أخوتي يريد أن يتعرف عليك شخصياً ، ولعلك تعطيني عنوانك بالتفصيل وأسماء جيرانك ، وأسماء زملائك بالوظيفة فهو يريد أن يسأل

عنك وعن أحوالك ، فأصبح الشاب الخسيس يتململ من هذه الأسئلة ويتزرع بحجج واهية ، بأنه انتقل حديث إلى منطقة سكينة فلا يعرف أحد فيها ، و ، و ، فقالت له مادام أنت على خلق وصادق كما كنت تخبرني على الماسنجر فمما الخوف ، وبدأت عندها تتحول لهجته إلى الشدة في الكلام والقسوة على عكس ما كان يبدو عليه ، وبدأ يكيل الشتائم والسباب ويتهمني بتهم باطلة ، وقال لها ألاَّ تعاود وتتصل به وتنسى ما جرى بينهما وتنسى الوعود .

يقول الشيخ وهل اتصلت يا ابنتي بذلك الوحش أيضاً ، فأجابت المتصلة لا يا شيخ ، لقد فهمت اللعبة ، وبدأت أبكي ليس على ذلك الشاب الخسيس وأكاذيبه وكلامه المعسول ، وقد كان يدس لي السم بالعسل ولكن بكيت حسرةً على غفلتي ، وسوء تفكيري ، وعلى ذنبي الذي ارتكبت ، وأسأل الله أن يغفر لي ذنبي ، ولذا أحببت أن أتصل بفضيلتك وأقص عليك قصتي لتكون عبرةً لمن سولت له نفسه اقتحام حدود الله ومحارمه فالله بالمرصاد لهؤلاء ، قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (الحديد:١٦)

وأقول لمن جرهم نفوسهم الضعيفة إلى أوحال المعصية أن يتوبوا إلى الله قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ

رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّــهُ هُــوَ الْغَفُــورُ الــرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣) .

وأشكرك يا شيخ و جزاك الله خيراً .

يعلِّق الشيخ ويقول : يا بنات هداكُنَّ الله ، المشكلة أنَّكم تنقادون وراء العاطفة وتصدقون كل كلمة تقال وتقع في قلوبكم ، قبل أن تفكروا بها هل هي صحيحة أم خادعة ؟ اتقوا الله في أنفــسكنَّ ، ولا تــسمحوا لأمثال هؤلاء بالضحك عليكنَّ ، ولا تخوضوا أمثال هــذه التجــارب فالكل بات يعرف أخطار الدردشة و الماسنجر على حياة الشباب .

كل هذه المكالمة والفتاة في دهشة ، وهي لا تصدق ما تسمع بأذنيهــا فقد كان الوقع ثقيل على مسمعها ، هل الفارس الذي حلمت به هــو من نفس زمرة هؤلاء لقد بدأت تجهش بالبكاء ، وتقول والله لن أعود إلى مثل هذا أبداً ، لقد هيأ لي الله أن أرى هذا البرنامج وأسمع كــلام هذه الفتاة قبل أن أقع في الحرام ، وأسمع ما قاله الشيخ فيا رب اغفر لي والدمع ينسكب من عينيها حزناً على ما رسمت لنفسها من خيــالات مزيفة كادت تودي بأغلى ما تملك .

ذهبت إلى غرفتها دخلت الانترنت وقامت بحذف الرسائل وكــل مــا يتعلق بذلك الخسيس وأرسلت له رسالة بالجوال ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر:١٤) .

وقرَّت أن تغير رقم جوالها حتى لا يستطيع أن يراسلها هو أو غيره من هواة محطات الدردشة أو الزواج على التلفاز .

وأصبحت تفكِّر مليَّاً بأن تصبح غير تلك الفتاة التي ملأ الفراغ قلبها ، وقررت أن تشغله بطاعة الله عزَّ وجل وبالقرآن الكريم فلولا رحمـــة الله بها لكانت من الخاسرين ، وحولت ذلك التلفاز الذي كان أداة لعرض أخبار الفنانين ، أو محطات الدردشة إلى جهـــاز لـــذكر الله وعباداتـــه ودروس العلم والمحاضرات الدعوية ، وأصبحت من التائبات .

من وحي الواقع

همام محمد الجرف

غفر الله لي ولوالدي

homam_algerf@yahoo.com

